Received: 21/7/2020 Accepted: 25/9/2020 Published: 2020

تجليات المكان في رواية الحي الخلفي لمحمد زفزاف

م.د. محمد أنور اسماعيل
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية- قسم اللغة العربية
mu197833@gmail.com

المستخلص:
تأتي هذه الدراسة والموسومة ب(تجليات المكان في رواية الحي الخلفي لمحمد زفزاف) لتقف عند عنصر سردي مهم من عناصر العمل الروائي وكيف وظف الكاتب عنصر المكان في روايته الحي الخلفي ،فالمكان هو الموضع او الحيز الذي تدور فيه احداث الرواية ، ويحاول الكاتب ان يسخر هذا العنصر في خدمة بقية العناصر السردية الاخرى كالشخصيات والرؤى السردية والاحداث لذا جاءت هذه الدراسة لتقف عند تجليات هذا العنصر السردي ، فتناولنا عتبة النص وهو العنوان وارتباطه بدلالة المكان ،وكذلك توظيف الكاتب افعال وتحركات الشخصيات في وصف صورة المكان بالاعتماد على لغته الروائية ، مع ملاحظة بعض التحولات في الامكنة وتغيرها تبعا لظروف و احوال الشخصيات الروائية ، وانتقالها من مكان الى اخر .

كلمات افتتاحية :تجليات ، رواية ، الحي ، زفزاف.

توطئة:

يتجلى امامنا المكان كعنصر مهم من عناصر العمل الروائي وهو عنصر سردي لا يمكن ان يقوم اي عمل ادبي من دونه ،وله ارتباط مباشر مع العناصر السردية الاخرى داخل العمل الروائي مثل الشخصيات ،والاحداث، والازمنة فهو((لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الاخرى للسرد كالشخصيات والاحداث و الرؤيات السردية... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصّلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد))[1]، وهو عنصر يتشكل من خلال تكوين علاقات متجانسة، أو متضادة مع العناصر الاخرى في النص، أو مع بعضها بعضاً، ويشكل المكان "قيمة دلالية خاصة في منظومة النص اجتماعياً ونفسياً بل ووطنياً وقومياً؛ فعلاقة الانسان مع المكان تتكون وتتمحور في إطار الخبرة المباشرة، والادراك الحسي، والارتباط الوثيق من لحظة الولادة حتى الممات؛ لذلك يتجلى المكان عنصراً رئيساً في الحياة الانسانية يوثق من صلات الذات مع الآخر (الذوات والعالم

الخارجي)" [1]. والمكان لغةً هو اسم موضع من الجذر اللغوي (ك. و. ن)، على وزن مَفْعَل، أي اسم مكان الشيء، وهو موضع لكينونة الشيء، و "الكون: الحدث ... تقول العرب لمن تنشؤه لا كان ولا تكون، لا كان: لا خلق. ولا تكون: لا تحرك، أي مات، والكائنة: الأمر الحادث. و كونه فتكون: أحداثه فحدث[2]"، والمكان والمكانة "واحد لأنه موضع لكينونة الشيء فيه...، والمكان هو الموضع"[3]، فالمكان هو الموضع الذي تتوافر فيه مقومات الحياة البشرية، والانسانية، وما يحيط بهذا الكون من مظاهر كالهواء والماء والتراب، وكل الموجودات والأشياء، وقد ورد ذكر المكان في القرآن الكريم بدلالات مختلفة، فقد ورد بمعنى اسم الموضع قال تعالى: ((**وَاذْكُرْ فِي كِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**))مريم:16، وقال ((**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**))ق:41 ، وقد ورد بمعنى المنزلة والرفعة، فقال: ((**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**)) مريم:57 ، وقد جاء بمعنى الابدال والاستبدال قال تعالى: ((**قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)) يوسف78.

ويمكن بعد هذا ان نعرف المكان في الاصطلاح فنقول انه :الموضع الذي يضم الاشياء والموجودات ، والاجسام ،ويشغل حيزا معينا في هذا الكون اللامتناهي. ويشكل المكان في الرواية مكوناً رئيساً في بنية السرد، فلا توجد حكاية بلا مكان، ولا أحداث خارج حدود المكان، وإن كل حدث في أية رواية له وجود في مكان وزمان معينين، فهما ما يمنح الرواية مصداقية وقبولاً لدى المتلقي، وقد عرف يوري لوتمان المكان بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الاشكال المتغيرة.... الخ)، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة / العادية (مثل الاتصال، المسافة... الخ)."5 ولذا لا يعد المكان عنصراً تزويقياً، أو جمالياً فقط، وإنما هو جزء مهم في تكوين معمارية الرواية، وبمعنى آخر أن "جمالياته تتفق وتتناسق وتتماشى مع جماليات الرواية الكلية"[6]، وهذه الجمالية ترتبط بأفعال الانسان الذي يضيف للمكان طابعاً جديداً، سواء أكان ثقافياً، أم اقتصادياً، أم اجتماعياً، عند ذلك يتنازل المكان عن مداهُ و جغرافيته، ويتحول إلى مكان جديد ومتغير، ويحدد جيرار جنيت مستويين لجمالية المكان في الرواية، فالأول يتعلق بقدرة المكان الأدبي على نقل القارئ أو المستمع إلى ذلك المكان المتخيل حتى يظن أنه يجتاز ذلك المكان أو يسكن فيه، أما المستوى

الآخر، فهو المكان الأدبي ومبدع المكان الأدبي يرسم المكان من غير أن يتكلم عليه، وإنما يجعله هو من يتكلم عن نفسه(7)، وبمعنى آخر هو تجلي قدرة الكاتب، أو الروائي على نقل القارئ من عالم الواقع إلى عالم الخيال، أي أن" يوهم بواقعيتها"(8)، فأي حدث "لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني"(9). وقد جعل (هنري متران)المكان المؤسس الأول للحكي عندما جعل القصة المتخيلة "ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"(10)، أي أن وجود مظاهر حقيقية واقعية في الرواية، من اماكن، تحمل القارئ على تصديق حكي الكاتب، ومن ثم توقع حصوله، فالأمكنة "وتواترها في الرواية يخلُقان فضاء شبيهاً بالفضاء الواقعي، وهي لذلك يعملان على ادماج الحكي في نطاق المحتمل"(11)، الأمر الذي يجعلنا نصدق أن ما نقرأه أمراً حقيقياً لا محالة. وهذا ما حدث في رواية الحي الخلفي لمحمد زفزاف *عندما صرح بشكل مباشر بان احداث الرواية تجري في احدى الاحياء الشعبية القديمة من مدينة الدار البيضاء في المغرب.

عتبة النص ودلالتها المكانية:

ان دلالة عنوان الرواية (الحي الخلفي) لهي دلالة مكانية بأمتياز ،فالحي هو اسم ذلك المكان الذي تدور فيه احداث الرواية ،وكما صرح بها الكاتب ،بأنها حارة من حارات مدينة الدار البيضاء في المغرب ،اما(الخلفي) فيدل على وصف لمستوى ذلك الحي المتدني والمتراجع اجتماعيا ،واقتصاديا ،اذ انها منطقة شعبية يعيش فيها مجموعة من الناس مستوياتهم واوضاعهم متدنية بفعل ظروف قاهرة جعلتهم يسكنون هذه المنطقة او ما تسمى بمنطقة العشوائيات ،أي ان بيوت هذه المنطقة غير منتظمة من ناحية السكن والعيش ،فأغلب شخصيات هذه المنطقة قد تعرضوا الى ظروف اجبرتهم لترك اعمالهم الاصلية ،او انهم طردوا من وظائفهم بفعل ظروف سياسية ،او غير ذلك ،ولجأوا الى هذه المناطق للعيش فيها و والعمل في اعمال غير مشروعة مثل التهريب والمتاجرة بأشياء اخرى كثيرة .

تبدأ الرواية بوصف كثيف ودقيق للمكان ،وهو مدخل الحي الذي تجري فيه احداث الرواية ، ويبدو من خلال وصف الكاتب بأنه مكان موحش ومتدني تقطنه فئات مسحوقة اجتماعيا ومن قبل السلطة ،اذ ان المكان هو عنصر لفظي متخيل قائم على لغة الكاتب ،واسلوبه وبراعته في استخدام الالفاظ والتراكيب التي تعطينا صورة قد تكون دقيقة لما يجري من احداث في امكنة الرواية ، فالمكان الروائي هو: (فضاء لفظي بأمتياز)12 اذ تبدأ الرواية بهذه العبارة ((كانت هناك ،الى جانب الطريق الرئيس ، من الطرف الاخر ، عمارات من اربعة طوابق اغلب شبابيكها مغلقة ،وهناك مساحات اخرى اما مستوية او محفورة بين شتى العمارات ،نبتت فيها اعشاب قصيرة متوحشة ، او تكومت فيها اتربة من مخلفات

الحفر.))13. من هذا الوصف الذي يبدأ به الكاتب روايته، نتخيل صورة المكان، او صورة الحي الذي اطلق عليه اسم (الخلفي) اي انها تقع خلف تلك البنايات الكبيرة والعظيمة في المناطق الراقية فهذا الحي ، يقع الى الطرف الاخر من الطريق الرئيس، وهي بعيدة عن مركز المدينة ، ونشعر من خلال الوصف بأن هذا الحي لا تصله خدمات الدولة، وهي شبه مهجورة بدلالة الاعشاب المتوحشة المنتشرة بين البيوت ، والاتربة المتكونة على اجزاء البنايات ، وكذلك تلك النوافذ الوسخة المغلقة ، وان مثل هذه المناطق يقطنها الغرباء الى (حين قرب عودة الصيف، موعد عودة اصحابها الذين يشتغلون في اي شيء في اوروبا ، وينامون في اي مكان حتى ولو كان حظيرة او زريبة ، ويقتاتون مما يمكنه ان يملأ البطن ، وفي نهاية العمر يعودون الى الوطن ، من اجل تحصيل ثمن الكراء بعد ان يكون الجسد قد انهك))14. وبحسب وصف الكاتب لطبيعة سكان هذه المنطقة ، فأنهم يولدون بدون هوية او انتماء ، ويحاول الكاتب اضفاء صفة الواقعية على هذا المكان ، من خلال ما ذكرناه انفا بأنه قد حدد لنا جغرافية احداث وامكنة الرواية ، اذ ان للمكان الروائي خصوصية معينة تختلف عن بقية الامكنة في الاعمال الاخرى كالمسرح، والشعر، او عن التي ندركها عن طريق حواسنا اللمسية، والسمعية ، والبصرية ، انه ((فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمّله طابعاً لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه"[15]. يقول الكاتب واصفا طبيعة حياة هذه الفئة التي تعيش بين تلك البنايات المهجورة، بأنهم بدون هوية او أي انتماء معين : ((وبطبيعة الحال فأن مجموعة من هؤلاء الذين يحتلون تلك البنايات قد لاتكون لهم صعوبات حتى ولو كان لهم ابناء، فهم ينجبون والسلام . فكما ولدوا في البادية بدون هوية وبدون علم من الدولة فهم يفعلون نفس الشيء في الضواحي او في اماكن اخرى مثلما يفعل الذباب والصراصير والزنابير، وهم بدون هوية دائما الا وقت الانتخابات ، اذ يخرجون كجرذان ليقولوا بصوت واحد –((نعم)) وبعد ذلك يعودون الى جحورهم المظلمة))16، ومعنى هذا ان سكان المنطقة لا اهمية لهم عند الدولة فلا تهتم بهم ولا تقدم لهم الخدمات الافي وقت واحد، عندما يحين موعد الانتخابات ، وهذا نقد كبير وواضح من الكاتب تجاه السلطة الحاكمة. ويستمر الكاتب في وصف الحي، فالى جانب تلك البنايات نرى مجموعة اخرى من البيوت العشوائية غير النظامية ، وهي محاولة من الكاتب في ربط طبيعة الانسان وعلاقاته وانظمته بالمكان عن طريق اللغة، اذ يلجأ الى هذه الوسيلة اللغوية من اجل تحديد احداثيات مكانية، واضفاء هوية نصية للمكان، ولتعطي صورة واضحة ومؤثرة في اذهان القارئين والمستمعين ، فعند استخدامه لهذه الاوصاف او الالفاظ الدالة على

المكان ، فأنه يقوم بتجسيد ذلك المكان وتقريبه من الاذهان 17، يقول الكاتب : ((وبعيدا عن هذه البنايات تكومت مجموعة من اكواخ الصفيح الواطئة المتربة ، هي في الغالب ملك لهؤلاء الغرباء مغتصبي املاك غيرهم، او هي ملك لا قاربهم ،فعندما تشم ادنى رائحة، او يسمع ادنى طنين فان الغريب يجر ابناءه ويهرب الى تلك الاكواخ واذا لم يكن له جحر هناك ، فانه يتربص على قارعة الطريق وينتظر اول شاحنة تنقله الى اقرب نقطة للقرية التي هاجر منها))18، ومن هنا نشعر بمستوى المتدني لهذا المكان وهي نابعة من ثقافة سكان هذه المنطقة وظروفهم المعيشية الصعبة .

وصف الامكنة وتجسيدها:

يعمد الكاتب الى استخدام لغته الروائية بشكل جيد في وصف ملامح امكنة الرواية، وتجسيدها بشكل متخيل ومشابه للواقع ، وقد ذكرنا انفا بأن المكان فضاء لفظي ولغوي يوظف فيه الكاتب لغته في اضفاء وصف مناسب لطبيعة المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات، والملائمة لظروفها الاجتماعية ، والاقتصادية، بل النفسية كذلك، فاللغة نظام اشاري (سيمولوجي)(19) وهو نظام "النمذجة الأولى"[20]، كما اسماها لوتمان، فهو ينطلق من خلال دراسته للمكان الفني من هذه الفكرة الأساس، في أن اللغة النظام الأولي لتحويل العالم إلى أنساق[21] وهذه الأنظمة تساعد في معرفة المكان من خلال اللغة، والروائي يسيطر على أمكنته الروائية من خلالها، "فاللغة تتيح (سمطقة) المكان وجعله علامة لغوية / اشارية، لأن اللغة نظام اشاري ودلالي وحامل لمنظومة قيمية"[22]، وتؤكد سيزا قاسم العلاقة بين المكان واللغة من خلال إعطاء، واكساب العناصر المحسوسة دلالة، وقيمة معينة، ومن ثم ادخالها في نظام اللغة[23]؛ ولذا نجد أن الاماكن الروائية تتعدد، وتختلف، وتتنوع، وحتى تتغير من روائي إلى آخر، وهذا بفضل اللغة التي تعطي قيمة، ودلالة للنص الأدبي، فرؤية_الكاتب للعالم ليست رؤية واحدة، وإنما متعددة بحسب تعدد الأمكنة والشخصيات والأحداث فيها، وفي هذه الرواية (الحي الخلفي) يوظف الكاتب لغته البسيطة في تجسيد صورة المكان بوساطة الراوي، او احدى الشخصيات ، ويحاول في بداية كل قسم جديد من اقسام الرواية ان يعطي وصفا دقيقا للمكان، وكأنه يريد ان يصف لنا كل مكان في هذا الحي، ففي القسم الاول رأينا كيف بدأت الرواية من خلال رؤية عين الراوي، وهو يصف الطريق الذي يقع على جانبه الاخر ذلك الحي، والمتكون من عدة عمارات قديمة(24).

ويستمر الكاتب من خلال صوت الراوي في وصف الحي، وتجسيد المكان بصورة دقيقة، فيصف لنا الشوارع الداخلية وازقتها الضيقة فيقول: (كانت ازقة الحي مليئة بالحفر وغير مبلطة وكان القائد يسير ببطء كما لو انه يمشي على البيض)(25) .

وفي القسم الثاني يبدأ بوصف دقيق لشجرة البلوط الموجودة في انحاء هذا الحي، والى جانبها توجد حفرة كبيرة يجتمع فيها ماء المطر شتاء، ويتحول بعد مدة الى بركة نتنة، حتى تجف في فصل الصيف ((تنتصب البلوطة العجوز وحيدة منفردة في الخلاء بعيدا عن بيوت الصفيح وعن باقي الاشجار الاخرى المتشبثة في الارض كيفما اتفق، وعند جذع البلوطة حفرة كبيرة قد يكون طولها حوالي العشرة امتار وعرضها بدون مقاس، يتجمع فيها ماء المطر في الشتاء لينتن ويعطن ويجف فيما بعد، ويحف بالحفرة شجيرات قصيرة يمكنها ان تحجب الانسان وهو جالس)(26)، ويبدو ان هذا التجسيد الدقيق للمكان من الكاتب هو تمهيد لما سيحصل تحت هذه الشجرة من افعال واقوال لشخصيات الرواية الرئيسية امثال (العطاوي والهراوي واحمد)، يقول الراوي: (وعند البلوطة الان كانت هناك جماعات متفرقة من شيوخ وشبان . الشيوخ يلعبون الورق او الضامة، بينما الشبان يقامرون من اجل سكرة هذا المساء، وكان الاطفال بعيدا عنهم يتصايحون ويصرخون وراء الكرة في ساحة صلبة، وكانت ايضا العصافير تزقزق في مكان ما)(27)، ويبدو ان شجرة البلوط هي محطة يلتقي فيه رجالات الحي لقضاء وتزجية الوقت ، والبعض منهم يعمل في تهريب البضائع بين الدول ومن هؤلاء شخصية الهراوي. ويستمر الراوي في تجسيد صورة المكان من خلال حاسة الصوت عندما استخدم صوت خشخشة اوراق الاشجار، وربط هذا الصوت بحركات وافعال الشخصيات على النحو الاتي :

(كانت اوراق الشجيرات القصيرة تبعث خشخشات واهنة من حولهم واحيانا عندما يخسر احدهم يكسر احد الاعواد ثم ينزل الى الحفرة كأنما يدفن نفسه، ثم يصعد اليهم من جديد لكي يستأنف اللعب، او ينصل من الطرف الثاني من الحفرة ، يعود فيما بعد او لايعود)(28). وفي القسم الرابع ينتقل الكاتب من وصف الاماكن المفتوحة والواسعة الى وصف الاماكن المغلقة ، اذ يبدأ بوصف لغرفة المومس (الضاوية) ومنها نتعرف عاى طبيعة حياة هذه الشخصية، التي تستقبل بعض رجال الحي في غرفتها الضيقة : (الغرفة ضيقة مثل زنزانة مربعة ، فيها فراشان ضيقان متقابلان في حين اتكأ صندوق كبير على الجدار الكبير، تضع فيه الضاوية ثيابها و ادوات زينتها ، وفي وسط الغرفة مائدة صغيرة قديمة مستديرة اشترتها من بائع خردوات متجول بثمن سهرة ليلة مع رجل عجوز من بني ملال) (29).

ويستمر الكاتب بوساطة صوت الراوي العليم في وصف هذا المكان الضيق، ويتطرق وصف مائدة الطعام بشكل دقيق فيصف ما يوجد فوقها من محتويات الطعام البسيط التي تدل على طبيعة حياة هذه المرأة اليومي :(كان فوق المائدة زجاجة نبيذ رديء وفجل وخس وتحت المائدة زجاجات نبيذ اخرى)(30)، وبحركة الشخصية داخل هذه الغرفة الضيقة يمكن للقارىء ان يتخيل صورة المكان في ذهنه

بدون أي تعقيد او مشقة : (كانت الضاوية تخرج وتدخل من باب ضيق الى مكان تسميه مطبخا فيه ابريق وكؤوس وثلاثة صحون ومرميطة وقنينة غاز صغيرة)(31)، ويحاول الكاتب تذكير شخصية الضاوية بماضيها القديم من خلال صورة الوسادة التي ايقظت في ذاكرتها تلك الايام عندما كانت متزوجة ولديها منزل وزوج ، فالمكان مرتبط بذكريات هذه المرأة التي تغير حالها بعد ستة اشهر من زواجها ، واصبحت بلا زوج وبيت وتحولت الى امرأة تجالس الرجال وتمارس البغاء في هذه الغرفة الضيقة وكأن الكاتب يريد ان يقول لنا ان هذه المرأة اصبح عالمها الجديد واسعا من خلال علاقاتها مع الرجال في وسط غرفة صغيرة ضيقة ، وهنا نلاحظ كذلك بأن الكاتب يسلط الضوء على وصف جزيئيات الاشياء الموجودة في غرفة المومس الضاوية ، ومن خلالها تستذكر الشخصية ماضيها وتقوم بعملية استرجاع سريعة ومقارنة حالها في الماضي وما حصل لها بعد ذلك يقول الراوي : (جرت الوسادة التي كانت بالقرب من الهراوي وجلست متربعة فوق السرير القصير اذ كان للبلاط عاريا وكم تمنت لو كان بمقدورها ان تشتري زربية لكانت الان قد جلست على الارض مثلما كانت تفعل في بيتها عندما كانت متزوجة)(32). ومن جانب اخر يوظف الكاتب افعال وحركات الشخصية في وصف المكان وتجسيده بشكل واضح، وكأنه يريد ان يبين حقيقة معينة ، بأن هذا المكان الضيق والموحش في هذه الغرفة بالنسبة للشخصيات الرواية هو افضل واجمل من العالم الخارجي الواسع الذي ينتشر فيه مظاهر الظلم والفساد السياسي للسلطة الحاكمة وهذه الايديولوجية شائعة في البلدان التي تعاني شعوبها من الديكتاتوريات السياسية الحاكمة والمتسلطة: (ثم شربت ما تبقى من الكأس دفعة واحدة، وقفت ونشرت ذراعيها في فضاء الغرفة الضيقة واخذت ترقص بتمايل على وقع اغنية شرقية منبعثة من الترانزستور تردد بعض كلماتها وتنظر الى السماء المظلمة خلف الكوة كما لو كانت تناجي احدا غائبا)(33)، فحركة الضاوية في نشر ذراعيها في ارجاء الغرفة وهي تحتسي شراب النبيذ وعملية الرقص لهي دلالة على الحرية والهروب من الواقع الخارجي الى الواقع الداخلي (الغرفة الضيقة).

ويستمر صوت الراوي في وصف حركات الضاوية وهي في مطبخها الصغير وتقوم بأعداد الطعام للرجال، ومن خلال تلك الحركات نتخيل صورة الاشياء الموجودة حولها وهذا تجسيد واضح للمكان: (ولكنها استمرت في الغناء وهي تقلب كريات الكفتة في المقلاة وكانت هناك عن يمينها ثلاث بيضات في كل مرة تتناول احداها وتحركها عند اذنها لكي تتأكد ما اذا لم تكن فاسدة و تفعل ذلك بشكل الي وهي تقلد الاغنية ، في بعض الاحيان تفضل ان تخلط الكفتة مع البيض والطماطم، واحيانا اخرى تضيف قليلا من البصل او الثوم)(34).

التحول المكاني:

يتجلى امامنا في هذه الرواية طبيعة التحول المكاني في الامكنة وهي مرتبطة بتحول ظروف الشخصيات واوضاعهم الاجتماعية ، والاقتصادية وانتقالهم من مكان الى الى اخر، وقد يكون هذا الانتقال من مكان اليف الى مكان موحش ومعادي ، او من مكان عام الى خاص، او من مكان مفتوح الى مكان مغلق مثلما رأينا انفا عندما انتقل الكاتب من وصف شوارع الحي وساحاتها الى وصف غرفة الضاوية الضيقة ، وبهذه النمطية يوظف الكاتب امكنته داخل الرواية.

ونرى مظاهر التحول المكاني من خلال حديث شخصية المعلم الذي طرد من وظيفته وفقد ابنه ودخل في حالة اغتراب نفسي كبير، وبعدما كان ينتقل خلال العطل الصيفية من بلد الى اخر متجولا وسائحا استقر به الحال في هذا الحي البأس وهذا هو تحول سلبي للمكان مرتبط بتحول وتغير ظروف الشخصية يقول الراوي على لسان المعلم : (ثم قال المعلم : انهم قد لا يفهمونني جيدا. ومن الافضل الا يفهموني ، فليفهموا انفسهم اولا لكن اذا لم اعش في جحر في هذا الحي الخلفي فأين سأعيش ، ولو كنت اعرف انني سأنتهي هكذا لبقيت في فرنسا. عندما كنت اسافر اليها ايام العطل الصيفية، وكنت وقتها اعزب ، وقبل ان اصل الى فرنسا ، كانت لي مغامرات مع اسبانيات جميلات .)(35) .

وفي موضع اخر نرى مظاهر التحول في المكان وهو تحول في رؤية الشخصية للمكان اذ تتحول الساحات العامة والميادين في الحي الى مكان معادي وموحش عندما تقدم الحكومة على اجراء عمليات الاعدام في هذه الساحات وامام انظار الناس والغريب بالأمر ان جموع الناس تشاهد هذه العمليات المنافية للشرائع الدينية والسماوية ولكنهم لا يعترضون على هذه الافعال ثم يمضون الى مساجدهم لإداء الفرائض ، وهذا نقد مجتمعي سياسي واضح لممارسات السلطة القمعية للفرد المواطن وانتهاك لحرية الرأي (واحيانا يمكن لمن يختار ان تدوسه دبابة او يدفن حيا او يربط بأغلال ا وان يؤتى بسياق ليقطع رأسه امام الملأ، فينصرف الناس، بعد ان يكونوا قد شاهدوا ذلك المنظر، الى المساجد لإداء الصلاة، هذا بطبيعة الحال، في البلدان دين الرحمة والاخاء والتعاطف والمودة والاحسان والخير والعدل ونكران الذات والتسامح والتفاهم واعطاء كل ذي حق حقه)(36).

ومن هنا ندرك رؤية الشخصية للمكان وارتباطها بالحرية اذ (يرتبط المكان ارتباطا لصيقا بمفهوم الحرية ، ومما لاشك فيه ان الحرية- في اكثر صورها بدائية – هي حرية الحركة . ويمكن القول ان العلاقة بين الانسان والمكان – من هذا المنحى- تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية، وتصبح الحرية في هذا المضمار هي مجموع الافعال التي يستطيع الانسان ان يقوم بها دون ان

يصطدم بحواجز او عقبات، اي بقوى ناتجة عن الوسط الخارجي، لا يقدر على قهرها او تجاوزها)(37)، وعلى هذا المفهوم يصبح المكان هنا مجموعة من الحالات والاشكال المتغيرة والمتحولة في سياق تحول وظائف الشخصيات ورؤيتهم للعالم من حولهم، ومن الممكن ان يتغير المكان بتأثير اقوال الشخصيات وتصرفاتهم مثلما نجده مع شخصية المعلم وحديثه عن تأثير الكلمة وكيف تغيير الانسان وتنقله من مكان الى اخر: (كلمة واحدة تستطيع ان تخرجك من الجنة الى الابد ، وفي البدء كانت الكلمة التي اخرجت ابانا ادم من الجنة والقت بأبنائه في الاحياء الخلفية وفي المستشفيات وفي الخنادق وداخل الدبابات والطائرات المقاتلة والات الدمار وداخل الزنزانات)(38).

الخاتمة:

وتأتي هذه الدراسة بنتائج اهمها:

1- يشكل عنصر المكان في العمل الروائي الى جانب العناصر الاخرى علاقات متوافقة ومتجانسة او مختلفة ومتضادة ، وهو جزء مهم في تكوين معمارية الرواية ، والمكان هو الموضع الذي يتوفر فيه مقومات الحياة ويضم بين جوانبه الاشياء والموجودات والاجسام ويشغل حيزا في هذا الكون .

2- تتجلى قدرة الكاتب في هذا العمل من خلال تشكيل صورة المكان بشكل مميز والذي يرسم فيه حدوده من غير ان يتكلم عليه ، وانما يدع المكان يتكلم عن نفسه .

3- يرتبط عنوان الرواية (الحي الخلفي) بدلالة مكانية ، فكلمة الحي اسم لموضع وقد حدد الكاتب بشكل صريح موقع هذا الحي في بداية الرواية ، وهي منطقة موجودة في احدى احياء مدينة الدار البيضاء في المغرب.

4- تتجلى كذلك قدرة الكاتب واسلوبه في وصف الامكنة بشكل دقيق ومكثف ،مؤمنا بأن المكان هو عنصر لفظي يمكن من خلال لغته الروائية نقل صورة المكان والاحداث التي تجري فيها الى مخيلة القارئ .

5- استخدم الكاتب بعض التنقلات والتحولات في الامكنة، اذ كان ينتقل من الاماكن المفتوحة والواسعة الى الاماكن المغلقة والضيقة ، وكذلك توظيف حركة الشخصيات وافعالها في رسم صورة طبيعة المكان،

6- وظف الكاتب صوت الاشياء في تجسيد المكان اذ وظف صوت خشخشة اوراق الاشجار مع حركة افعال الشخصيات صورة المكان بشكل مناسب للموقف .

الهوامش والمصادر:

1- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 1990م : 26.

2- سيمياء المكان في النص الأدبي، الأمكنة في (ترميم الذاكرة) عائشة الدرمكي، مجلة البحرين الثقافية، عد 68، مج9، ابريل 2010م:14.

3- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، طبعة مراجعة، مصححة بمعرفة نخبة من السادة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة 1423هـ - 2003م،مادة : كون.

4- لسان العرب : مادة : كون

5- جماليات المكان، مجموعة من الباحثين، مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تر: سيزا قاسم دراز، عيون المقالات، ودار قرطبة، الدار البيضاء – المغرب، ط2 – 1988م:69.

6- جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ط1 – 1994م:96.

7- ينظر: في مدار النقد الأدبي، الثقافة – المكان – القصص، د. علي مهدي زيتون، دار الفارابي بيروت – لبنان ط1 – 2011م : 83.

8- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2000م: 65.

9- نفسه .

10- نفسه .

11- نفسه .

*- الحي الخلفي، محمد زفزاف ، دار رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط1، 2013م.

12- بنية الشكل الروائي :27.

13-الحي الخلفي :.5

14- الحي الخلفي: 5 .

15- بنية الشكل الروائي :27.

16- الحي الخلفي: .6

17- ينظر: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا احمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م:75.

18- الحي الخلفي : 6-.7

19- ينظر: تشريح النص، عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي، الدار البيضاء – المغرب ط2-2006م:.17

20- جماليات المكان، مجموعة من الباحثين:.64

21- نفسه.

22- شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لأدوار الخراط انموذجاً، خالد حسين حسين، كتاب الرياض (83)، مؤسسة اليمامة الصحفية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية 1421هـ:.71
23- ينظر: جماليات المكان، مجموعة من الباحثين:.64
24- ينظر:الحي الخلفي:5-.6
25- نفسه :.10
26- نفسه :.15
27- الحي الخلفي:15-.16
28- نفسه:16 .
29- نفسه: .41
30- الحي الخلفي : 41-42 .
31- نفسه: .42
32- نفسه :42-.43
33- الحي الخلفي:.48
34- نفسه:.50
35- الحي الخلفي:.57
36- الحي الخلفي : .60
37- جماليات المكان، مجموعة من الباحثين:.62
38- نفسه:63-64.

References:

-1Structure of the Narrative Form, Hassan Bahrawi, The Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco, 1st edition, 1990 AD: 26.
-2The place's hospitality in the literary text, Places in (Memory Restoration), Aisha Al Darmaki, Bahrain Cultural Magazine, No. 68, Volume 9, April 2010 AD: 14.
-3The Tongue of the Arabs, by Imam Allama Ibn Manzoor, revised edition, corrected by an elite of specialized scholars, Dar Al-Hadith, Cairo 1423 AH - 2003 AD, Article: Universe.
-4The Tongue of the Arabs: Article: Universe
-5Aesthetics of the place, a group of researchers, the problem of the artistic place, Yuri Lotman, Ter: Siza Qassem Draz, The Eyes of Articles, and the House of Cordoba, Casablanca - Morocco, 2nd edition - 1988 AD: 69.
-6Aesthetics of the place in the Arabic novel, Shaker Al-Nabulsi, Arab Institution for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon, 1st - 1994 AD: 96.
-7Looking: in the literary orbit of literary criticism, culture - place - stories, d. Ali Mahdi Zaitoun, Dar Al-Farabi, Beirut - Lebanon, 1st edition 2011 AD: 83.

-8The structure of the narrative text (from the perspective of literary criticism), d. Hamid Hamdani, Arab Cultural Center for Printing, Publishing and Distribution, 3rd edition, 2000 AD: 65.
-9Himself.
-10Himself.
-11Himself.
- *Back district, Mohamed Zafzaf, Dar Rouya for Publishing and Distribution, Cairo, 1st floor, 2013 AD.
-12Structure of Narrative Form: 27.
- 13Back neighborhood: 5.
-14Back neighborhood: 5.
-15Structure of Narrative Form: 27.
-16Back neighborhood: 6.
-17Sees: Building the novel, a comparative study of the Naguib Mahfouz trilogy, Siza Ahmed Qassem, the Egyptian General Book Organization 1984: 75.
-18Back neighborhood: 6-7.
-19Sees: Anatomy of the text, Abdullah Muhammad Al-Ghazhami, Cultural Center, Casablanca - Morocco, 2-2-2006 AD: 17.
-20Aesthetics of the place, a group of researchers: 64.
-21Himself.
-22Poetry of the Place in the New Novel, Narrative Discourse of the Role of the Kharrat as a Model, Khaled Hussein Hussein, Book of Riyadh (83), Al-Yamamah Press Foundation, Indexing of the King Fahd National Library 1421 AH: 71.
-23Looking at: aesthetics of place, a group of researchers: 64.
-24Looking: Back Quarter: 5-6.
-25Same: 10.
-26Himself: 15.
-27Back neighborhood: 15-16.
-28Same: 16.
-29Same: 41.
-30Back neighborhood: 41-42.
-31Same: 42.
-32Same: 42-43.
-33Back neighborhood: 48.
-34Same: 50.
-35Back neighborhood: 57.

-36Back neighborhood: 60.
-37Aesthetics of the Place, a group of researchers: 62.
-38Himself: 63-64.

Manifestations of the place in the novel, the neighborhood behind

Muhammad Zafzaf

Mohamed Anwar Ismail (phd)
College of basic education
al-Mustansiriyah University
mu197833@gmail.com

Abstract:

This study and tagged with (the manifestations of the place in the novel The Back Quarter of Muhammad Zafzaf) comes to stand at an important narrative component of the novel work and how the writer employed the element of the place in his novel The Back Quarter, the place is the place or space in which the events of the novel revolve, and the writer tries to harness this element In the service of the rest of the other narrative elements, such as personalities, narrative visions and events, so this study came to stand at the manifestations of this narrative element, so we addressed the threshold of the text which is the title and its link to the significance of the place, as well as the writer's employing the actions and movements of the characters in describing the place's image depending on his narrative language, noting some changes in Places can be changed according to the circumstances and conditions of the fictional characters, and their movement from one place to another

Key word: Zafzaf، the neighborhood Manifestation, Novel